شباط 2017

جسور للدراسات
JUSOOR for STUDIES

درع الفرات
حصاد ستة أشهر

تقرير
تحليلي

المحتويات

تمهيد 2
أولاً: المسار والإنجاز 2
1. الصعيد العسكري 2
- المرحلة الأولى 2
- المرحلة الثانية 4
- المرحلة الثالثة 4
2. الصعيد الخدماتي 6
ثانياً: المواقف وردود الفعل 7
1. ردود الفعل الدولية 7
2. ردود الفعل المحلية 8
ثالثاً: سيناريوهات المستقبل لدرع الفرات 9
1-الوصول إلى 5000 كم^2 10
2-البقاء في نطاق 2000 كم^2 11
3-الانضمام إلى المناطق الآمنة المتعددة 11
الهوامش 12

تمهيد

شكّلت عملية درع الفرات التي بدأت في 2016/8/24 تحوّلاً كبيراً في الأزمة السورية وتفاعلاتها الإقليمية والدولية، فقد مثّلت أوّل تدخل عسكري مباشر لتركيا في الأراضي السورية، وقلبت أوراق المعادلات المحلية التي كانت قد تكرّست بين المجموعات الكردية وتنظيم داعش وقوات النظام في الشمال والشمال الشرقي لسورية لعامين على الأقل، ونقلت تركيا من دور المتأثر، أو المؤثّر الجانبي أحياناً، إلى دور الفاعل المباشر في الحدث السوري.

وشكل التأثير المحلي لدرع الفرات انعكاساً لتجاذبه دولياً، فهو المشروع الذي عطّلته واشنطن ما استطاعت لسنوات، ومرّ بتوافق تركي-روسي، على غير رضى إيراني، وجاء في مرحلة وتوقيت خاص، حيث تلى الانفراج الكبير في العلاقات المتجمدة بين موسكو وأنقرة، وفي الأشهر الأخيرة من ولاية الرئيس الأمريكي باراك أوباما، والذي وصلت العلاقات التركية-الأمريكية في آخر عهده إلى أدنى مستوياتها.

ويستعرض هذا التقرير حصاد الشهور الستة الأولى من عمر درع الفرات، والمسار الذي مرّ فيه، وما حققه وما أخفق في تحقيقه، وإلى أين يمكن أن يصل في الشهور الستة التالية.

أولاً: المسار والإنجاز

1. الصعيد العسكري

- المرحلة الأولى

انطلقت عملية درع الفرات العسكرية فجر 24 آب/ أغسطس عام 2016، حيث بدأت المدفعية التركية بقصف مواقع لتنظيم داعش في مدينة جرابلس الحدودية وما حولها إلى جانب قصف مركز من قبل المقاتلات التركية، وتوغلت مجموعة من القوات الخاصة التركية والدبابات إلى جانب عدد من قوات فصائل المعارضة إلى داخل الحدود السورية، واشتبكت مع تنظيم داعش في محيط مدينة جرابلس.

وكان من أبرز فصائل المعارضة التي انضمت لعملية درع الفرات: فيلق الشام، الفرقة 13، فرقة الحمزة، لواء السلطان مراد، الجبهة الشامية، حركة نور الدين زنكي وبعض من عناصر حركة أحرار الشام، وقدرت أعدادهم في تلك الفترة بـ 1200 عنصر، كما انضمت "غرفة عمليات حوار كلس" لعملية درع الفرات، والتي شُكلت قبيل الإعلان عن عملية درع الفرات بهدف تحرير المناطق الخاضعة لسيطرة تنظيم الدولة.

واستطاعت المعارضة إلى جانب الدعم التركي السيطرة على المدينة بالكامل خلال 24 ساعة تقريباً من المعارك مع التنظيم، بعد قصف عنيف من قبل المدفعية والطيران التركي، بالإضافة إلى إرسال تعزيزات من "دبابات ومركبات مدرعة من مدينة كوجالي شمال غربي تركيا، إلى المناطق الحدودية في مدينة غازي عنتاب". ما أدى إلى انسحاب التنظيم بكامل عناصره من المدينة إلى ريف مدينة الباب. وبلغت المساحة المسيطر عليها في المرحلة الأولى ما يقارب 400 كم^2 داخل الأراضي السورية.

درع الفرات في ستة أشهر

الأهداف التركية المعلنة

طرد تنظيم داعش من المناطق المحاذية لتركيا في الشمال السوري.

منع الميليشيات الكردية من ربط مناطق سيطرتها على غرب وشرق الفرات.

إقامة منطقة آمنة بمساحة 5000 كم2.

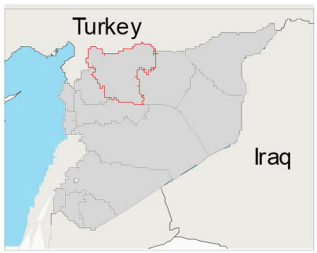

مساحة السيطرة

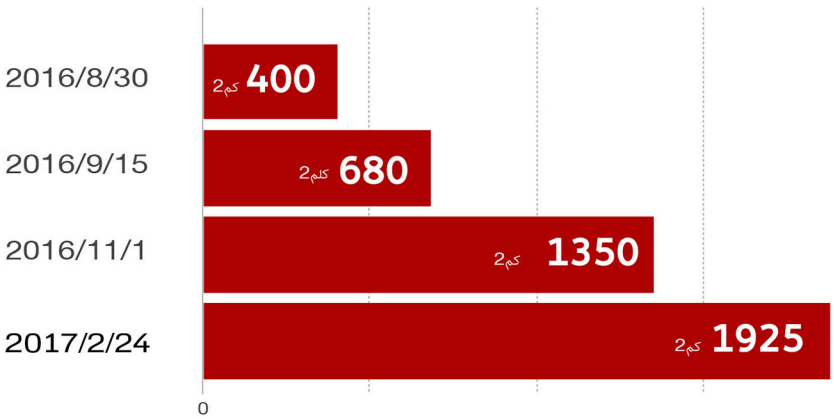

- المرحلة الثانية

مع بداية شهر أيلول/سبتمبر 2016 بدأت المرحلة الثانية من درع الفرات، وكان الهدف منها وصل الأراضي التي تُسيطر عليها المعارضة في مدينة جرابلس بريف حلب الشمالي الشرقي، إلى مدينة اعزاز بريف حلب الشمالي. والتوجه إلى جنوب مدينة جرابلس، لا سيما المناطق المحاذية للجهة الشرقية من نهر الفرات والتي كانت تسيطر على بعضها قوات سورية الديمقراطية.

تمكّنت المعارضة مدعومة بالطيران التركي من السيطرة على عدة قرى أهمها "بير تحتاني و"بير فوقاني والحلوانية والحمير وتل شعير، بالإضافة إلى "رأس الجوز، وعرب عزة، والفرسان ومزارعها، وليلوة، ومزارع كنو، والأثرية، والنهضة، والمثمنة".

وتميزت هذه المرحلة بفتح عدة جبهات في جهات عدة، مما تطلب تدخل قوات برية تركية بشكل أكبر وأكثر فاعلية. وانتهت العملية بتأمين الحدود بين جرابلس واعزاز بمسافة 90 كم تقريباً[1]. وبلغت المساحات المسيطر عليها في نهاية هذه المرحلة حوالي 680 كلم^2[2].

- المرحلة الثالثة

بدأت المرحلة الثالثة في 2016/9/16، وكان الهدف الأساسي منها هو السيطرة على مدينة الباب الاستراتيجية، وهو الهدف الذي تحقق في 2017/2/23، أي في اليوم الأخير من الشهر السادس لدرع الفرات.

انطلقت هذه المرحلة من محورين: الأول هو مدينة جرابلس باتجاه مدينة منبج جنوباً، والثاني الانطلاق من مدينة الراعي إلى مدينة الباب جنوباً أيضاً، حيث إن هذه المحورين المتوازيين تقريباً سيعملان على وصل التوجه جنوباً ووصل المناطق المسيطر عليها بينهما بشكل متتالي؛ لذلك كانت هذه المرحلة ولا تزال حتى اللحظة من أصعب المراحل التي دخلتها عملية درع الفرات.

تقدمت فصائل المعارضة التي بلغ تعدادها بعد انتهاء المرحلة الثانية حوالي 15 ألف مقاتل بدعم تركي كبير من جرابلس إلى ريف مدينة منبج الشمالي، واستطاعت أن تسيطر مع الساعات الأولى من انطلاق المرحلة على قرى "طويجان وجماعين والحميرات في محيط بلدة الغندورة شمال غربي منبج بعد معارك مع التنظيم"؛ كما سيطرت على قرى صندي والأيوبية والروضة وأم الهوى شرقي ناحية الراعي"[3].

وطرحت في ذلك الوقت نقاشات إعلامية حول إمكانية امتداد درع الفرات نحو مدينة منبج بعد أن تمكنت قوات سورية الديمقراطية من السيطرة عليها قبل وقت ليس ببعيد، لكن ما أشارت إليه المجريات فيما بعد فإن هدف المرحلة الثالثة المتعلق بالسيطرة على منبج قد توقف العمل عليه إلى حد ما، بعد السيطرة على عدد من القرى المحيطة بها بمحاذاة نهر الفرات في شمال منبج وغربها، وقد يعود السبب إلى أن هذا الهدف تم تحقيقه عملياً إذ لم تعد قوات سورية الديمقراطية قادرة على وصل مناطق شرق نهر الفرات بغربه، ويبدو أن الأتراك رأوا أن تجميد الجبهات مع قوات سورية الديمقراطية قد يتيح لهم فاعلية أكبر بالتوجه في المحور الثاني المنطلق من

الراعي باتجاه مدينة الباب. وقد أعلنت تركيا أن منبج والرقة ستكونان الوجهة القادمة لدرع الفرات بعد السيطرة على الباب[4] ، ما يترك موضوع السيطرة على منبج مفتوحاً في الأيام المقبلة.

وعلى محور الراعي- الباب، تمكنت المعارضة من التوغل في العمق بشكل كبير بعد معارك عنيفة خاضتها مع تنظيم داعش، واستطاعت الوصول إلى ريف مدينة الباب بعد السيطرة على منطقتي "تركمان بارح" و"أخترين" و"دابق" وغيرها وهذه الأخيرة تعتبر ذات رمز أيديولوجي للتنظيم[5] ، وانسحبت عناصره إلى مدينة الباب وتحصنوا بها، التي تعد أهم منطقة استراتيجية له في ريف حلب الشرقي، والتي تصله بمناطقه في شرق سورية بمدينة الطبقة ومنها إلى الرقة معقله الرئيسي في سورية.

من جانب آخر، أضيف للمرحلة الثالثة محور آخر للهجوم، ينطلق من مدينة مارع باتجاه غرب مدينة الباب، ليصبح بذلك الهجوم عبر ثلاثة محاور، ويهدف هذا الأمر إلى توسيع جهات القتال لتشتيت عناصر التنظيم، ولكسب العامل الزمني في السيطرة على مناطق أكثر خلال مدة زمنية أقل، وعليه فقد تمكنت المعارضة بالدعم التركي من التقدم باتجاه الباب وأصبحت المسافة بين أقرب نقطة من مناطق سيطرة درع الفرات إلى مدينة الباب تبعد حوالي 10 كم في بداية شهر تشرين الثاني/نوفمبر 2016، وخاضت المعارضة معارك عنيفة ضد التنظيم وقوات سورية الديمقراطية، وتمكنت من السيطرة على عدة قرى أهمها "دوير الهوى - شدود - قعركلبين - نعمان - ثلثانة - ثلاثينة - البيرة - اكسار - طويس - قراج غربي - قراج شرقي - المضيق - جب العاص – سوسنباط – قديران – الشيخ علوان)، مع العلم أن التنظيم استطاع استعادة التقدم في بعض هذه القرى لكن المعارضة عادت مجدداً لتستولي عليها.

وحتى تاريخ 2016/11/1، بلغت مساحة السيطرة في عملية درع الفرات ما يقارب 1350 كم^2. وفي منتصف الشهر ذاته أصبحت المعارضة على بعد 2 كم عن مدينة الباب. بعد أن تقدمت في عدة مناطق أهمها "جب البرازي، ودويرة، وبرات وبرشايا وجب الدم" بعد اشتباكات مع تنظيم داعش.

بالمقابل وبالرغم من التقدم السريع لفصائل المعارضة، إلا أن مدينة قباسين والواقعة شمال مدينة الباب ومدينة بزاعة في شرقها، تشكلان خط الدفاع الأول للتنظيم من الجهة الشمالية والشرقية للباب، ولذلك لم تستطيع المعارضة تثبيت سيطرتها على هاتين المنطقتين، واستطاع التنظيم الاستيلاء عليهما وتثبيت تمركزاته فيهما، لكن المعارضة بدورها كثفت هجومها من الجهة الغربية للباب وتمكنت من كسر دفاعات التنظيم الرئيسية في المشفى الوطني وجبل الشيخ عقيل الذي يطل على المدينة، ثم تقدمت المعارضة إلى داخل أحياء المدينة وتحولت المعركة إلى حرب شوارع بسبب دوران القتال بين الأحياء، لتتم السيطرة على المدينة بالكامل يوم 2017/2/23.

وحتى تاريخ صدور هذا التقرير، فإن مساحة الأراضي المسيطر عليها من قبل درع الفرات بلغت 1925 كم^2 تقريباً. أي أن المرحلة الثالثة تمكنت من زيادة مساحة السيطرة عن المرحلة الثانية بحوالي 1250 كم^2.

2. الصعيد الخدماتي

حققت عملية درع الفرات جزءاً من أهدافها في جعل المناطق التي يسيطر عليها ضمن العملية مناطق آمنة للسكان إلى حد ما، وقامت الحكومة التركية وبعض الجمعيات الإغاثية التركية بدعم العديد من القطاعات الخدمية في المدن والقرى المسيطر عليها من قبل المعارضة، وكان من أهم تلك الإنجازات وأهم العوائق التي تواجهها ما يلي:

- **في المجال الصحي**: قامت وزارة الصحة التركية، بافتتاح مشفى مدينة جرابلس بالتعاون مع المجلس المحلي للمدينة، بغية تقديم الخدمات الطبية للمدنيين الموجودين في مدينة جرابلس وريفها، وتم تجهيز المشفى بـ 40 سريراً وثمانية أقسام طبية.

- **في المجال الإغاثي والخدمي**: افتتحت إحدى الجمعيات الخيرية التركية مخبزاً آلياً لإنتاج الخبز يغطي حاجات السكان في مدينة جرابلس وريفها لمادة الخبز بطاقة إنتاجية تصل إلى 70 ألف رغيف يومياً[6]. "كما يقوم مخبز آخر في مدينة قرقميش التركية، يخضع لإشراف رئاسة الكوارث والطوارئ التركية "أفاد" الحكومية، بإنتاج 10 آلاف رغيف يومياً[7].

وتقوم العديد من الجمعيات التركية والأممية والمحلية أيضاً، بتوزيعها على المحتاجين بشكل شبه مستمر بالتعاون مع المجالس المحلية للمدن والقرى[8].

- **في مجال البنية التحتية**: عملت إحدى الشركات الخاصة التركية بالتعاون مع الحكومة التركية على تشييد محطات نقل كهربائية في مدينة قرقميش التركية المتاخمة لمدينة جرابلس، وتم تمديد أسلاك أرضية لإيصال الكهرباء إلى المدينة وريفها، بسعة تقدر بـ 31.5 كيلوواط من الكهرباء.

كما تقوم تركيا بدعم مشاريع حفر الآبار في مناطق سيطرة درع الفرات، حيث تقوم بلدية غازي عينتاب حالياً بإعداد دراسة للكشف عن مصادر المياه لا سيما في مدينة جرابلس[9].

- **في المجال التعليمي**: افتتحت الحكومة التركية عدداً من المدارس لإعادة استكمال العملية التعليمية التي كانت شبه متوقفة في المناطق التي كان يسيطر عليها تنظيم داعش. ويتم العمل حالياً على ترميم وتأهيل مدارس أخرى لاستيعاب الطلاب المنقطعين عن الدراسة والتعلم.

- **في المجال الأمني**: قامت الحكومة التركية بفتح باب التطوع في مخيمات اللجوء المنتشرة على الحدود التركية وكذلك في بعض المناطق في ريف حلب الشمالي والشرقي، للالتحاق بجهاز الشرطة السورية، الذي يناط به "ضبط الأمن، ومتابعة الجنايات، ومكافحة الإرهاب، التعامل مع الأطراف المسلحة وإلقاء القبض على السارقين". في مناطق درع الفرات.

وقامت الحكومة التركية بإنشاء مراكز تدريب خاصة للمتطوعين في مدينة ميرسين التركية. وبدء جهاز الشرطة بعدها مهامه في مدينة جرابلس وريفها، حيث تم تعيين العميد المنشق "عبد الرزاق أصلان" كرئيس للشرطة، وتم تجهيز العناصر بـ "المعدات اللازمة للعمل من قبل ولاية غازي عينتاب التركية التي يتبع لها بشكل مباشر، والتي تشمل سيارات خاصة وأسلحة. ويعمل في الوقت الحالي ضمن الجهاز 440 عنصراً"[10].

ثانياً: المواقف وردود الفعل

تباينت ردود الفعل الدولية على عملية درع الفرات، ففي حين عبّرت بعض الدول الفاعلة عن تأييدها للعملية، تردّدت دولٌ أخرى في مواقفها، بين التأييد والتحفّظ، فيما لم تصدر مواقف واضحة عن دول فاعلة في الملف السوري منذ بدء العملية وحتى اليوم.

1. ردود الفعل الدولية

عبّرت الولايات المتحدة، على الأقل في التصريحات المعلنة، عن دعمها للعملية، واعتبرتها "آخر الأمثلة حول الدعم المهم الذي تقدمه أنقرة لجهود مكافحة داعش"[11].

وقامت الولايات المتحدة تحت مظلة التحالف الدولي لمكافحة الإرهاب، بالمشاركة في عملية درع الفرات، بعيد انطلاقها، حيث استهدفت مواقع لتنظيم داعش، لكن هذه المشاركة توقفت بحسب ما كشفه وزير الخارجية التركي جاويش أوغلو، لتعاود شن أربع غارات في محيط مدينة الباب، بالتنسيق مع أنقرة بتاريخ 2017/1/18[12].

أما روسيا، فقد امتنعت عن التعبير عن أي موقف واضح مع بداية العملية، وبعد أسبوعين صدر تصريح من وزارة الخارجية الروسية يُعرب فيه عن قلق روسيا البالغ من التوغل التركي في الأراضي السورية، وذكر البيان أن "هذه العمليات العسكرية تجري بلا تنسيق مع السلطات السورية الشرعية وبدون تفويض من مجلس الأمن الدولي، وبذلك تُوضع سيادة الجمهورية العربية السورية ووحدة أراضيها في خانة الشك". واعتبرت موقف دمشق الرافض للعمليات العسكرية التركية في الأراضي السورية، عادلا ومبررا من وجهة نظر القانون الدولي"[13].

لكن هذا الموقف الذي عكسه البيان لم يتكرر في تصريحات أو مواقف أخرى، وأظهرت الوقائع الميدانية أن موسكو موافقة بالكامل على مجريات درع الفرات، حيث تقوم الطائرات التركية بالدخول يومياً إلى الأجواء السورية التي يُسيطر عليها الطيران الروسي بالكامل، بما يعكس تنسيقاً مسبقاً وحتمياً بين الطرفين. لا بل أن الطائرات الروسية قامت بشنّ غارات مساندة لقوات درع الفرات، وشنت أولى غاراتها على محيط الباب باستهداف ثلاث مواقع لتنظيم داعش في 2016/12/30[14].

أما إيران فقد عبّرت عن قلقها من التدخل التركي، واعتبرت أن "النيل من السيادة السياسية لسورية أمر مرفوض. ورغم أن مكافحة الإرهاب والسعي لتعزيز الأمن والاستقرار في المنطقة يعد مبدأ ثابتا ومهما في السياسة الخارجية للدول المحبة للسلام في المنطقة إلا أن هذا الموضوع لا يمكن ولا يجب أن يكون مبررا

لانتهاك سيادة البلدان الأخرى والقيام بعمليات عسكرية في أراضي بلد آخر دون التنسيق مع الحكومة المركزية وعدم الاكتراث لحق السيادة الوطنية لذلك البلد"[15].

2. ردود الفعل المحلية

رفض النظام السوري عملية درع الفرات، واعتبرها "خرقاً للسيادة السورية"، و"أن محاربة الإرهاب على الأراضي السورية من أي طرف كان يجب أن تتم من خلال التنسيق مع الحكومة السورية والجيش العربي السوري"، واعتبر أن ما تقوم به عملية درع الفرات "ليس محاربة للإرهاب كما تزعم تركيا بل هو إحلال لإرهاب آخر مكانه"[16].

وتحاول قوات النظام السوري منذ بدايات الشهر الأول من العام الحالي، توسيع نطاق سيطرتها في محيط مدينة الباب، حيث تخوض معارك مع تنظيم داعش أدت إلى سيطرة النظام السوري على العديد من القرى أهمها عران وأبو طلطل وتل أبو جبار، لتصبح على مشارف مدينة تادف التي تبعد عن مدينة الباب بمسافة 1.5 كم تقريباً. وكان محاور الانطلاق الرئيسية للنظام هي مطاري كويرس العسكري، ومطار حلب الدولي الواقعين شرق مدينة حلب.

ووقع اشتباك هو الأول من نوعه بين قوات النظام وفصائل المعارضة المشاركة في عملية درع الفرات، في قريتي الغوز وأبو الزندين غرب مدينة الباب، حيث أرادت قوات النظام توسيع نطاق سيطرتها في تلك المنطقة بعدما تقدمت في قريتي ديرقاق والشماوية عقب معارك مع تنظيم داعش، لكن المعارضة نجحت في صد هجوم النظام، كما قام الطيران الروسي باستهداف منطقة الاشتباك ما أدى إلى سقوط 3 قتلى من القوات التركية المشاركة في درع الفرات وجرح 11 آخرين، إلى جانب سقوط 4 قتلى من صفوف المعارضة. وحدث ذلك في 9-2-2017. وقد أعلنت موسكو أن هذا الاستهداف قد وقع بالخطأ وتقدم الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بتعازيه لنظيره التركي رجب طيب أردوغان بسبب ما حصل[17].

واختلف موقف الفصائل المسلحة بين رافض ومتحفظ ومؤيد. فقد رفضت جبهة فتح الشام آنذاك عملية درع الفرات، وأفتت في بيان أصدرته بعد شهر كامل من العملية "بحرمة القتال في ريف حلب الشمالي تحت أي طرف إقليمي أو تحالف دولي، لا على جهة الاستعانة ولا من باب التنسيق معه، لأن واقع الحال ليس استعانة، ولعدم توفّر الشروط الشرعية اللازمة في هذه الحالة".

وأصدر المجلس الشرعي في حركة أحرار الشام بياناً متأخراً أيضاً، أفتى فيه للحركة بجواز التنسيق مع الجيش التركي والاستعانة به في تحرير المناطق التي تتقاطع فيها مصالح الطرفين، من باب "مصلحة دفع أكبر الضررين ودرء أكبر المفسدتين. ورغم اللغة المتحفظة للبيان، وعدم تأييد الحركة للعملية، إلا أن البيان أدّى إلى جملة من الصراعات داخلها، وقامت الحركة بناء هذه الصراعات بفصل شرعيين وعسكريين، فيما استقال منها آخرون.

كما أصدر تجمع أهل العلم في الشام، والقريب من حركتي أحرار الشام وفتح الشام، بياناً في 2016/9/22 أفتى فيه بحرمة "التنسيق مع الأمريكان وأذنابهم، واعتبار هذه القوات قوات احتلال غازية عدوة للثورة". ووصف البيان الفصائل المشاركة في العملية بأنها "فصائل البنتاغون".

وإلى جانب النظام والفصائل الإسلامية، عبّر حزب الاتحاد الديموقراطي عن موقف مشابه، واعتبر فيه درع الفرات احتلالاً تركياً مرفوضاً.

وبالمقابل أصدرت جهات أخرى، دينية وسياسية وعسكرية، مواقف مؤيدة لدرع الفرات، أهمها: المجلس الإسلامي السوري، والمجلس الشرعي في محافظة حلب، والائتلاف الوطني، وجماعة الإخوان المسلمين.

ثالثاً: سيناريوهات المستقبل لدرع الفرات

شكلت عملية الانقلاب الفاشلة في تركيا منعطفاً كبيراً في استراتيجية الحكومة التركية في عدد من القضايا ولا سيما الملف السوري، فرغم حديث القيادة التركية من قبل عن نية تركيا بإنشاء مناطق آمنة في سورية، فإنّ الكثير من التساؤلات كانت تثار حول إمكانية تحقيق ذلك، لا سيما وأن مؤسسة الجيش التركي تعمل بشكل مستقل إلى حد ما عن مؤسسة الرئاسة التركية.

لكن تَمَكّنَ الحكومةِ التركية من إجهاض محاولة الانقلاب الفاشلة، ساعد في تغير شكل العلاقة بين المؤسسة العسكرية والحكومة والرئاسة التركية، ومكّن الحكومة من تنفيذ خطتها لحماية الحدود التركية من خطر الإرهاب ولمنع القوات الكردية من تجاوز نفوذهم إلى غرب نهر الفرات، وإنشاء منطقة آمنة للسوريين.

واستطاعت أنقرة خارجياً إقناع المجتمع الدولي بأهمية عملية درع الفرات، على الرغم من المعارضة المستمرة لواشنطن بإدارة الرئيس الأمريكي بارك أوباما سابقاً إنشاء مناطق آمنة أو حدوث أي تدخل بري دولي في سورية، لكن أعطت عودة العلاقات التركية-الروسية إلى الفاعلية مزيداً من الزخم للحكومة التركية في تحقيقها لمصالحها في الملف السوري، كما أن الإدارة الأمريكية بقيادة ترمب ترغب هي الأخرى بإنشاء مناطق آمنة في سورية. ما يدع المجال أمام أنقرة مفتوحاً للمزيد من البحث عن خيارات جديدة تضاف إلى مصالح السياسية التركية تجاه الملف السوري.

من جانب آخر، تمكنت تركيا من زيادة فاعليتها في القضية السورية سياسياً، إذ تقوم هي وروسيا حالياً بدور فاعل في دفع العملية السياسية في سورية إلى الأمام، حيث قامت تركيا بتوقيع اتفاق وقف إطلاق النار مع روسيا الذي شمل كافة الأراضي السورية، وقام مجلس الأمن بالمصادقة عليه فيما بعد. وأشرفت أيضاً إلى جانب إيران وروسيا على مفاوضات أستانا التي جمعت ممثلين عن النظام السوري والمعارضة السورية، في إطار تثبيت وقف إطلاق النار والوصول إلى أرضية إيجابية للبدء بمفاوضات جنيف المزمع عقدها في وقت قريب[18].

وعلى الصعيد العسكري، أعلن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان مراراً أن هدف تركيا هو إقامة منطقة آمنة على مساحة 5000 كيلومتر مربع شمالي سورية، وأن عملية درع الفرات ستمتد إلى محافظة الرقة المعقل

الأساسي لتنظيم داعش في سورية[19]، لكن إلى اللحظة فإن المساحات المسيطر عليها في درع الفرات لم تتجاوز الـ 2000 كم مربع، ومن الصعب توسيع رقعة العمليات لتشمل 3000 كم^2 أخرى، حيث إن ذلك سيقتضي التحرك إلى مناطق شرق نهر الفرات والقتال على جبهات عديدة مع قوات سورية الديمقراطية وتنظيم داعش.

لكن تأكيدات أنقرة المستمرة على أن الهدف هو 5000 كم^2 يثير العديد من التكهنات حول ضمان الحكومة التركية تحقيق ذلك، رغم العديد من المخاطر والعقبات التي قد تواجهها سواء من المجتمع الدولي أو المعارضة المسلحة التي تعتبرها شريك في العمليات العسكرية بدرع الفرات.

ويمكن توقع السيناريوهات التالية خلال الشهور الستة القادمة:

1-الوصول إلى 5000 كم^2

إذا أرادت تركيا المضي في توسيع رقعة درع الفرات إلى 5000 كم^2، فينبغي عليها حتماً الامتداد باتجاه محافظة الرقة، وحينها ستمتد حدود المنطقة الآمنة من مدينة اعزاز في ريف حلب الشمالي إلى مدينة الرقة ثم إلى شمالها لتشمل مدينة تل أبيض في ريف الرقة الشمالي. ما يعني بالضرورة وقوف معارك مع قوات سورية الديمقراطية.

كما ينبغي أن تُسيطر قوات درع الفرات في هذا السيناريو على مدينة منبج، وكذلك على المنطقة الواقعة شمال مدينة الطبقة غربي الرقة. وتُقدّر مساحة هذه المناطق بما يقارب 3000 كم^2.

ولتحقيق هذا السيناريو ينبغي أن تحصل أنقرة على موافقة الإدارة الأمريكية، لأنّه يصطدم مباشرة بالمشروع الأمريكي في المنطقة هناك، والقائم على دعم قوات سورية الديمقراطية.

لا يتضح إلى اليوم موقف الإدارة الأمريكية الجديدة من الوضع في سورية، وما إذا كانت ستتابع نهج الإدارة السابقة في دعم قوات سورية الديموقراطية كحليف استراتيجي. ومن المؤكّد أن الموقف من الميليشيات الكردية ومن درع الفرات قد كان على أجندة الزيارة التي قام بها مدير الاستخبارات المركزية الأمريكية الجديد مايك بومبيو إلى أنقرة في بداية شهر شباط/فبراير 2017، في أول زيارة له بعد توليه لمنصبه. ورغم أن الزيارة لم تتمخّض عن اتفاق معلن بين الطرفين التركي والأمريكي، إلا أن تسارع العمليات التركية بشكل كبير بعدها، والتي انتهت بالسيطرة على مدينة الباب في 2017/2/23 يمكن أن تُعطي مؤشراً عن التوصل إلى اتفاق ما.

وإضافة إلى الإدارة الأمريكية، فإنّ نجاح هذا السيناريو يتطلّب موافقة موسكو، والتي تريد ضمان مصالح النظام الذي تدعمه. حيث يمكن أن تمنح موافقتها في حال منح النظام إمكانية التمدد إلى مناطق داعش في الصحراء السورية ومدينة تدمر تحديداً، وكذلك شرق مدينة الباب في ريف حلب الشمالي بمنطقة دير حافر ومسكنة وما حولهما، ومن ثم الانطلاق للسيطرة على مدينة الطبقة الاستراتيجية بالنسبة للتنظيم، مع العلم أن سيطرة النظام السوري وفق هذا الافتراض لن تؤثر على تقدم عملية درع الفرات باتجاه الرقة لأنها ستمضي في المنطقة الشمالية من مدينة الطبقة.

2-البقاء في نطاق 2000 كم^2

في هذا السيناريو تبقى أنقرة في نطاق المساحة التي وصلتها حتى الآن، وقد تعمل على التوسع بشكل جزئي باتجاه الرقة، دون أن تصل إلى أكثر من 2500كم^2. وتبقى في نفس الوقت تستخدم مساحة 5 آلاف كم^2 كورقة سياسية على الأطراف الدولية والإقليمية من أجل الحصول على ضمانات أكبر للمصالح التركية في سورية.

سيتعزّز هذا السيناريو أكثر في حال تراجع موسكو عن موافقتها على مشروع درع الفرات، نتيجة للتقارب الأمريكي-التركي السريع بعد وصول الإدارة الأمريكية الجديدة، وهو تقارب سيكون على حساب العلاقة التركية-الروسية في عدد من الجوانب. وستعمل روسيا في حالة تغير موقفها من درع الفرات على دعم قوات النظام، وربما الميليشيات الكردية أيضاً، لتحقيق إنجازات ميدانية في معركتهم للسيطرة على مناطق تنظيم داعش في الرقة ودير الزور وريف حلب.

كما قد لا ترغب الإدارة الأمريكية بمنح أنقرة كامل السيطرة على المنطقة الشمالية-الشرقية، بما يُنهي ورقة الميليشيات الكردية التي تعمل واشنطن على دعمها منذ عدّة سنوات. وتقوم واشنطن في هذه الحالة بتكثيف دعمها لقوات سورية الديموقراطية ضمن عملية "غضب الفرات" من أجل تمكينها من إحراز تقدّم ملحوظ على الأرض، وبالتالي فإنّ دخول القوات المدعومة تركياً إلى المدينة سيكون أكثر صعوبة وحساسية.

في حين يمكن أن يتمكن تنظيم داعش من السيطرة على مدينة دير الزور شرق سورية، وحينها ستكون الرقة حصن الدفاع الأول للتنظيم، وقد يتمكن من التقدم في محيط محافظة الرقة لتأمينها، ولتعويض خسائر نفوذه في ريف حلب الشرقي خصوصاً إذا تمت السيطرة على مدينة الباب.

3-الانضمام إلى المناطق الآمنة المتعددة

في هذا السيناريو يتم تطبيق مشروع المناطق الآمنة المتعددة في عدد من المناطق السورية، وبالتي يتحوّل درع الفرات إلى جزء من هذه المناطق، وربما تجري بعض التغيرات على شكل السيطرة على مناطقه.

وقد يشمل هذا المشروع منطقة آمنة في الجنوب، ومنطقتان في الشمال، وربما تكون السيطرة على هذه المناطق خاضعة لدول إقليمية (تركيا والأردن) أو لتحالفات إقليمية ودولية.

وفي حالة تطبيق هذا المشروع، فيمكن أن تكون قوات درع الفرات جزءاً من عملية تحرير الرقة ضمن استراتيجية التحالف الدولي لمكافحة الإرهاب، وتنسحب قوات سورية الديمقراطية بموجبه من مدينة منبج وما حولها إلى شرق نهر الفرات مقابل أن تشارك أنقرة وفصائل المعارضة في عملية تحرير الرقة، واستلام الجهة الغربية للمدينة مقابل أن تتسلم قوات سورية الديمقراطية جهات الشمالية والشرقية للرقة.

الهوامش

(1)المعارضة تتقدم بجرابس بدعم تركي و"درع الفرات" يتمدد بوجه داعش وقوى كردية"، سي إن إن، 28-8-2016.
https://goo.gl/IZZM2x

"درع الفرات تقترب من تحرير الحدود... والباب الوجهة المقبلة". العربي الجديد، 29-8-2016. https://goo.gl/VfRKrP

(2) "الجيش الحر يتقدم بريف الباب ومقتل جنديين تركيين". الجزيرة نت، 6-9-2016. https://goo.gl/ljCnKE

(3) "المعارضة السورية تبدأ المرحلة الثالثة لدرع الفرات". الجزيرة نت، 16-9-2016. https://goo.gl/IN1ahR

"درع الفرات" تهدد معقل "داعش" الأخير بريف حلب الشرقي". العربي الجديد، 8-9-2016. https://goo.gl/w9oVme

(4) "أنقرة: عملية درع الفرات ستمتد لمنبج والرقة". الجزيرة نت، 27-10-2016. https://goo.gl/ScH5AF

(5) "درع الفرات توسع سيطرتها بريف حلب الشمالي". الجزيرة نت، 4-10-2016. https://goo.gl/AuyKyI

(6) "جمعية تركية تفتتح مخبزاً في جرابلس السورية بطاقة 70 ألف رغيف يوميا". وكالة الأناضول، 25-12-2016.
https://goo.gl/0GI3nR

(7) "مخبز تركي يرسل يومياً 10 آلاف رغيف خبز إلى جرابلس السورية". ديلي صباح، 17-9-2016. https://goo.gl/aG4nfC

(8) "هيئة إغاثة تركية ترسل مساعدات إنسانية إلى جرابلس السورية". وكالة الأناضول، 3-9-2016. https://goo.gl/WnvifC

(9) "رئيسة بلدية غازي عنتاب التركية تتفقد جرابلس وتشرف على إيصال المياه للسكان". ديلي صباح، 8-9-2016.
https://goo.gl/iM1GGl

(10) "الشرطة تدخل جرابلس.. وفصائل درع الفرات تغادرها". المدن، 25-1-2017، https://goo.gl/Rzyjt5

[11] The White House, Press Briefing by Press Secretary Josh Earnest, 8/24/16: https://goo.gl/oW8fiv

(12) "مقاتلات أمريكية تساند تركيا في عملية "درع الفرات".. ويلدريم يطالب واشنطن بمراجعة علاقتها بأكراد سوريا". سي إن إن، 24-8-2016. https://goo.gl/xNcCwN

"جاويش أوغلو: التحالف الدولي أوقف الإسناد الجوي لـ "درع الفرات". وكالة الأناضول، 29-12-2016.
https://goo.gl/nWz1Oc

(13) موسكو: عملية "درع الفرات" تضع وحدة الأراضي السورية في خانة الشك، روسيا اليوم، 7/9/2016:
https://goo.gl/G4lGJe

(14) "الطيران الروسي يساند "درع الفرات" في معركة الباب". روسيا اليوم، 30-12-2016. https://goo.gl/5LSHlu

"للمرة الثانية الطيران الروسي يساند عملية درع الفرات شمال سوريا". بلدي نيوز، 2-1-2017. https://goo.gl/JEFPDr

(15) طهران تدعو أنقرة لوقف تدخلها في الأراضي السورية سريعاً، وكالة سانا للأنباء، 30/8/2016: https://goo.gl/KZekp8

(16) مصدر مسؤول في وزارة الخارجية والمغتربين: سورية تدين الخرق التركي السافر لسيادتها، وزارة الخارجية والمغتربين، 24/8/2016: https://goo.gl/MPb6N1

(17)"مقتل جنود أتراك في غارة روسية شمالي سوريا". بي بي سي، 9-2-2017. https://goo.gl/HMfWDD

(18) "اتفاق وقف إطلاق النار الإرهاصات والمضامين وردود الفعل". مركز جسور للدراسات، 16-1-2017.
https://goo.gl/Mdrkm6

(19) "درع الفرات تهدف لتأمين 5000 كيلومتر مربع شمالي سوريا والجيش التركي على بعد 20 كيلومترا من «الباب»... وأردوغان يؤكد: سنطهر منبج أيضاً". صحيفة القدس العربي، 19-10-2016. https://goo.gl/FUYyx0

Kavalik Mah. Fevzi Çakmak CD.
Sevil Apt. N11 D8, 27060
Gaziantep - Turkey
+90 537 558 5821
info@jusoor.co
www.jusoor.co
@jusoorstudies